الفصل الثانى

قيم تربوية في القصص القرآني

تحليل لمواقف من قصة يوسف عليه السلام

*** مقدمة حول موضوع البحث وأهميته :**

الحاجة ماسة فى الآونة الأخيرة الى النظر فى القرآن الكريم ، بمنظور تربوى . نتحرى فيه عمق التأثير ؛ وننهج فيه استنباط القيم التربوية من نصوص قرآنية . بما يبرز حاجة البشر الى تلك القيم متفقة مع حاجات البشر . ومتناسقة مع أهدافهم الحياتية .

ولعل من مبررات هذا الاتجاه لهذا النوع من الأبحاث . ما استشرى فى العصر الحاضر . من بعض كتابات وبحوث عن التربية الاسلامية . من منطلق تاريخى عن التعليم الاسلامى . الذى يتعرض للمدرسة فى الاسلام . وتاريخ الكتاب . ومعلم الكتاب .. الخ . دون التعمق فى الفكر التربوى من منظور الكتاب والسنة . اللهم فيما عدا النزر اليسير الذى يأتى باستشهاد اجمالى . دون التعمق والفحص واستخراج ما بداخل تلك النصوص من فكر تربوى اسلامى .

ومع أهمية هذه الكتابات بهذا الشكل ؛ ومع تأثيرها كفكر وتراث تاريخى لا غنى عنه . الا أن التركيز على هذا اللون فقط من الكتابة مما يبرز قضايا تربوية على النحو التالى :

(ا) عدم وضوح فكر تربوى من منظور اسلامى متكامل .

(ب) يبدو الفكر التربوى الغربى وقد احتل مكانا فى بعض النفوس ؛ مما قد يوحى بأنه هو الجدير بالبحث ؛ لأنه يتمشى مع متطلبات العصر . وتقدم الأمم والشعوب .

(ج) قلة اهتمام بعض مفكرى التربية باستنباط بعض القيم الكامنة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

(د) توفير المجال الخصب والأرض الرحبة . أمام الغـزو الفكرى . حتى يتمكن من بث ونشر اتجاهاته وآرائه . معتمدا فى هذ على التشكيك فى قدرة التربية الاسلامية على مواكبة الحياة العصريه من جهة . ومن جهة أخرى على جذب الشباب الى الفـكر التربوى المشوه . والذى امتزج فيه السم بالعسل . من أجل تحويل المجتمعات الاسلاميه عن النظر فى قرآنها . أو التشكيك فى قدرة هذا الكتاب على التناسق مع العصر والتوافق مع متطلباته وأهدافه .

هذا ولا أدعى أن بحث كهذا . سوف يزيل هذه السحب القاتمة . ويمحو هذا الضباب من وجه الفكر التربوى الاسلامى . لأن هذا المجال أعنى التربية الاسـلامية من القـرآن الكريم . ليس بالأمر الهين . أو اليسير . لأنه يحتاج الى دقة . والى روية . وبعد نظر .

وعلى كل حال فهى بداية . نرجو الله لها التوفيق . فى مسارها الرحب الطويل .

ونحن يحدونا الأمل ويستلهمنا الرجاء . أن نقتطف ذرات من فطرات من قيم تربوية . يحتويهـا الكتاب المبين . ويضمها القـرآن الـكريم .

وكم وقفنا متأملين وناظرين . بل ومنتظرين . لعل القدر يقذف الينا بعض مما نرجوه حول كتابة من هـذا النوع قد تشبع النهم . وتشفى الغليل وتريح الضمير .

وهذا يلقى علينا تبعة الاعتراف بالفضل . لاجتهاد المجتهدين فى هذا الميدان ـ جزاهم الله عن الاسلام خيرا ـ هذا الاجتهاد الذى جاء ـ من وجهة نظرنا ـ من منظور اسلامى بحت أحيانا أو من منظور تربوى أحيانا أخرى . بينما بدا فيه المزج مبعثرا . بعيدا عن الدقة والترابط مع أهداف الجماعة وقيمها التربوية . كما بدت حاجة الكائن البشرى . والمجتمع الانسانى غير واضحة فى تلك الكتابات .

وعسانا نجد ـ ان شاء الله ـ من يسهمون فى احياء هذا الفكر التربوى ويضيفون الى هذا الميدان شيئا يعتز به الاسلام والمسلمون ويكون قذائف فى وجه أعداء الاسلام من تربويين وغيرهم **« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »**[1] .

* * *

(١) الصف : ٨

* التعريف العام بالسورة :

تجول هذه السورة بنا فى عالم الانسان . وتهتم وتركز على الحياة الانسانية بحوادثها ودقائقها . بكل ما فيها من عواطف وأفكار وعقائد ومشاعر . وبهذا لا تتعرض السورة لعالم الكون الخارجى[٣] .

ان الله تعالى يقص فيه حياة الانسان أحسن القصص انها تقطعه من الحياة بعروقها النابضة ومشاعرها المتأججة ونوازع الخير والشر فيها . اننا نرى فيه أنفسنا . ولكن نرى مع ذلك يد القدر ونحس أثره فينا وفى أعمالنا . اننا نراها تخط فى الحوادث مصيرنا وتبلغ بنا الغايات المقدرة منفذة لقضاء الله منسجمة مع غايات قدره التى هى الخير المحض . فتجمع بذلك بين الطاعة والارادة والعمل والتفاؤل بالمستقبل . ذلك هو السبب الذى يجعل لسورة يوسف هوى فى نفوسنا[٣] .

من هذا المنطلق كانت سورة يوسف درسا فى التربية . كل التربية بما فيها من اتجاهات نظرية وأفكار فلسفية . بل ومواقف عملية يمكن لو أحسن استثمارها أن تكون مثلا يحتذى ونموذجا يقتفى .

هذا وبالرغم من أن جو الفترة التى نزلت فيها السورة . كان حرجا وموحشا . ويوحى بالشدة والحزن . وبالرغم كذلك من أن بها مواقف . تبدو لأول وهلة أنها محزنة . أقول : بالرغم من ذلك كله . فقد انتهت بالفرج والتيسير . وكأننا بهذه السورة . وقد جاءت لتعيد الأمل ولتحيى صيحة الحق . واليقين . التى استمرت عالية حتى كتب الله النصر لهذا الدين . فارتفعت رايته خفاقة على ربوع الدنيا كلها[٤] .

وكأننا فى سورة يوسف عليه السلام ؛ نترسم خطى نماذج تربوية . كقدوة نحتذى . ومثل يمكن أن نترسم خطاه ونسير على نهجه .

ومن هنا جاء اختيارنا لتلك القصة ؛ كنموذج فى غاية الدقة ؛ وتطبيق منهج الاسلام فى غير ما تباه أو غطرسة .

* * *

---

(٢) محمد المبارك . دراسة أدبية لنصوص القرآن . دار الفكر ط ٤ ١٩٧٣ ؛ ص ٨٠

(٣) المرجع السابق .

(٤) سيد قطب . فى ظلال القرآن . المجلد الرابع . الجزء الثانى عشر مطبعة دار الشروق . ط ١٠ ١٤٠١ / ١٩٨١ ؛ ص ١٩٤٩

* بين السمات الفنية للقصة عمـوما والسمات الفنية للقصص القـرآنى :

قبل الحديث عن بعض خصائص الأسلوب القصصى فى القرآن . يجدر بنا أن نعرف مفهوم القصة عموما . ثم أقسامها من ناحية القالب والمظهر والشكل .

والقصة ـ أى قصة ـ هى طريقة تعبر عن الحياة أو بعض منها . وذلك بتناول واقعة واحدة أو عدد من الوقائع . يكون بينها ترابط . على أن يكون للقصة بداية ونهاية .

أما أقسامها فأربعة :

(ا) الأقصوصة :

وتتضمن علاجا لجانب معين من حياة . بحيث تقتصر على سرد حادثة . أو مجموعة من حوادث . تشكل موضوعا منفردا بأفراده ومقوماته . بيد أنه يجب أن يكون الموضوع ـ مع قصره ـ كامل النضج من حيث التحليل والعلاج . وهذا يتطلب مهارة معينة عند الكاتب . لأن المجال محدد وضيق ويحتاج الى براعة تامة .

(ب) القصـة :

وفيها يعالج الكاتب مجموعة من المواقف والحوادث . تكون أرحب مما يعالج فى الأولى ، والقصة وسط بين الأقصوصة والرواية ، وعليه فلا مندوحة أن يطول زمن القصة وتمتد حوادثها .

(ج) الرواية :

وفيه يتاح للمؤلف أن يعالج موضوعا كاملا أو أكثر . على أن يكون مملوءا بحياة تامة . بحيث يفرغ القارىء من الرواية . وقد أحاط علما بحياة بطلها أو أبطالها فى مراحلها المختلفة .

(د) الحكاية :

عبارة عن سرد لواقعة أو عدد من الوقائع الحقيقية أو الخيالية لا يلتزم فيها الحاكى بممارسة قواعد الفن الدقيقة ، ويمكنه أن يرسل الكلام بما ينسجم مع طبعه .

ويفترض العلماء ثلاثة عناصر أساسية فى القصة الفنية بمعناها المطلق : الموضوع ـ الشخصيات ـ الحوار .

ويحتموں توفر شروط معينة لكل من تلك العناصر . ويبرزون جوانب الخلل التى تحيل القصة الى نموط غير فنى .

ومن أهم تلك الاسس :

(ا) أن تتوفر للقصة وحدة فنية .
(ب) أن يتوفر فى عرضها أسلوب التلميح ما أمكن .
(جـ) ان يبرز الكاتب شخصيات القصة بعناية تامة .
(د) وضوح الهدف والغرض من القصة .
(هـ) الا تتضح الحكمة والموعظة بها بشكل مباشر وظاهر .
(و) ألا تخلو من عناصر التشويق .
(ز) أن يكون أسلوبها وسطا . لا هو بالسهولة . ولا بالبالغ الصعوبة[٥] .

أما القصة فى القرآن الكريم فانها « ليست عملا فنيا مستقلا فى موضوعه وطريقة عرضه وادارة حوادثه كما هو الشأن فى القصة الفنية الحرة التى ترمى الى عرض فنى طليق . انما هى وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة الى أغراضه الدينية . والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شىء والقصة احدى وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها .

وقد خضعت القصة القرآنية فى موضوعها وفى طريقة عرضها . وادارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية ؛ ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الدينى لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى عرضها . ولا سيما خصائص القرآن الكبرى فى التعبير وهى التصوير »[٦] . هذا ومع الأخذ فى الاعتبار أن خصائص القرآن الكبرى لا تنحصر فقط فى التصوير . بل هنالك السطح والعمق والصدور والتنويع الابداعى .. الى غير ذلك .

والقصص القرآنى يرتبط أحيانا بالأنبياء ؛ فيتناول دعوتهم الى قومهم . وتأييدهم بالمعجزات من الله سبحانه وتعالى . وذلك كما جاء فى قصة نوح وابراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد وغيرهم من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد تكون القصة عابرة تتعلق بحوادث وأشخاص . لم تثبت نبوتهم كما جاء عن الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

---

(٥) عبد الله شحاته . علوم القرآن والتفسير . دار الاعتصام . القاهرة ١٩٨٠ ص ١٩٥ - ١٩٦ (٦) المرجع السابق ص ١٩٧

وطالوت وجالوت وابنى آدم وأهل الكهف وأصحاب الأخدود ... الخ .
وقد تكون القصة متعلقة بحوادث فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد وحنين وتبوك ... الخ .

ولكن مع هذا التنوع فى أشخاص القصة فى القرآن الكريم الا أن جميعها متفق حول تحقيق الأغراض الدينية البحتة . ومنهـا توحد الدين المنزل من عند الله واثبات وحدانية الله رب العالمين . واثبـات الوحى والرسالة . وكذلك اثبـات عواقب الصبر والجزع والشـكر والبطر ... الخ[٧] .

ويأتى مظاهر التنسيق الفنى فى القصة القرآنية من حيث كونها لا تخضع للقواعد الفنية للقصص الحديثة ؛ وقد تتوافق معها فى بعض الاحيان « وقد تنفرد بابداعها الفنى فى بعض الأحيان لكنها مع الاتفاق والاختلاف تبقى دائما قصة قرآنية لها سماتها ولها خصائصها ومميزاتها الخاصة دون أن تكون عملا فنيا مستقلا فى موضوعه وطريقة عرضه وادارة حوادثه . ويبقى هدفها الأول والأخير هو هدف القرآن ذاته »[٨] قال تعـالى : **« نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين »**[٩] .

* * *

* السمات الفنية فى قصة يوسف عليه السلام :

لقد امتزجت فى هذه القصة ـ التى نحن بصددها ـ التوجيهات الدينية والتربوية . . وظهر ذلك فى سياق القصة وقبلها وبعدها . وقد بدئت السورة بقوله تعالى : **« الر ، تلك آيات الكتاب المبين »**[١٠] ومعناه عند الطبرى : « وهذه آيات الكتاب المبين ؛ لمن تلاه وتدبر ما فيه . من حلاله وحرامه ونهيه . وسائر ما حواه من صنوف معانيه . لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين ؛ ولم يخص ابانته عن بعض ما فيه دون جميعه . فذلك على جميعه ؛ اذ كان جميعه مبينا عما فيه » .

« انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »[١١] يقول تعالى ذكره :

---

(٧) المرجع السابق ص ١٩٧ ، ١٩٨
(٨) المرجع السابق ص ٢٠٧ ، ٢٠٨
(٩) يوسف : ٣ (١٠) يوسف : ١
(١١) يوسف : ٢

انا أنزلنا هذا الكتاب بلسانهم . ليعقلوه . ويفقهوا منه . وذلك قوله عز وجـل : « **لعلكم تعقلون** »[١٢] .

« **نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** »[١٣] .

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص . بوحينا اليك هذا القرآن فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية وأنباء الأمم السابقة والكتب التى أنزلناها فى العصور الخالية . وان كنت من قبله لمن الغافلين عن ذلك . لا تعلمها . ولا شيئا منه »[١٤] .

وعلى هدا يكون القول ان بداية سورة يوسف جاءت كرد على المشركين . الذين ادعوا أن القـرآن كان يعلمه أعجمى لرسـول الله صلى الله عليه وسلم . كما أن فى قوله تعالى : « **وان كنت من قبله لمن الغافلين** »[١٥] اشارة الى أن القرآن وحى من عند الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم من الغافلين عن اتجاهه وموضوعاته[١٦] .

واذا كانت تلك بداية القصة اتضح فيها التوجيه نحو تثبيت الدعوة الاسلامية وأن القرآن كلام الله أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم . فاننا نجد تعقيبا دينيا تربويا فى نهاية القصة . لا يقل أهمية عن بدايتها لأن هذا التعقيب يناسب الغرض الرئيسى من عرض القصة . والعبرة الأساسية من ذكرها فى القرآن الكريم والايحاء بها الى النبى محمـد صلى الله عليه وسلم . كما جاء التعقيب مؤكدا لمـا جاء فى مفتتح السورة بقول الله تعالى « **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهـدى ورحمة لقوم يؤمنون** »[١٧] .

يقول تعالى ذكره : « لقد كان فى قصص يوسف واخوته عبرة

---

(١٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . جامع البيان عن تأويل آى القرآن . الجزء الثانى عشر . ط ٢ . ١٣٧٣ / ١٩٥٤ . مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر . ص ١٤٩

(١٣) يوسف : ٣ (١٤) المرجع السابق ص ١٥٠

(١٥) يوسف : ٣

(١٦) سيد قطب . فى ظلال القرآن . مرجع سابق ص ١٩٤٩

(١٧) يوسف : ١١١

لأهل الحجا والعقول فيعتبرون بها . وموعظة يتعظون بها . وذلك لأن الله جل ثناؤه بعد ان ألقى يوسف فى الجب ليهلك . ثم بيع ببيع العبيد . بالخسيس من الثمن . وبعد الاسار والحبس الطويل — ملكه مصر . ومكن له فى الأرض . وأعلاه على من بغاه سوءا من اخوته . وجمع بينه وبين والديه واخوته بقدرته . بعد المدة الطويلة . وجاء بهم اليه من الشقة النائية البعيدة . فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش . من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لقد كان لكم أيها القوم فى قصصهم عبرة لو اعتبرتم به . ان الذى فعل ذلك بيوسف واخوته لا يتعذر عليه أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فيخرجه من بين أظهركم ، ثم يظهره عليكم ويمكن له فى البلاد ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب . وان مرت به شدائد . وأتت دونه الأيام والليالى والدهور والأزمان »[18] .

« **ما كان حديثا يفترى** »[19] يقول تعالى ذكره : ما كان هذا القول حديثا يختلق ويتكذب ويتخرص .. « **ولكن تصديق الذى بين يديه** »[20] يقول : ولكن تصديق الذى بين يديه . من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبيائه . كالتوراة والانجيل والزبور . ويصدق ذلك كله . ويشهد له ؛ أن جميعه حق من عند الله[20] .

« **وتفصيل كل شىء** »[21] يقول تعالى ذكره : وهو أيضا تفصيل كل ما للعباد اليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه ؛ وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته . وقوله : « **وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** »[16] يقول تعالى ذكره : وهو بيان أمره ورشاد من جهل سبيل الحق ، فعمى عنه ، اذا تبعه فاهتدى به من ضلالته ، ورحمة لمن آمن به ، وعمل بما فيه ، بنقذه من سخط الله ، وأليم عذابه ، ويورثه فى الآخرة جناته ؛ والخلود فى النعيم المقيم . « **لقوم يؤمنون** » يقول : لقوم يصدقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه فيعملون بما فيه من أمره وينتهون عما فيه من نهيه[21] . وبهذا تحتل قضية الايمان بالله وحده والاقرار له بالعبودية مفتتح السورة وختامها بنمط يعز على الوصف ويربو عن الخيال .

---

(١٨) ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى ؛ ج ١٣ مرجع سابق ص ٩٠
(١٩) يوسف : ١١١ (٢٠) المرجع السابق ص ٩٠
(٢١) المرجع السابق ص ٩١

هذا ولقد كانت هذه القصة رائعة خصبة غنية تمثل الحياة بما فيها من وقائع وحوادث متسلسلة مترابطة ومؤامرات ومصادفات ومفاجات وعواطف ودوافع وآراء بشريه وأقدار الهيه وهى طول قصة فى كتاب الله تضمنت مشاهد كثيرة متواليه[٢٢] .

كما أن هذه القصة قد اشتملت على الكثير من صور الحياة الواقعيه بما فيها من دوافع الخير ونوازع الشر . ومن عاطفة الحنين والشفقه احيانا والكيد والتامر أحيانا أخرى .

كما أنها اشتملت على الضمير الرادع والشهوة الجامحة والايمن القوى بالله والثقة به والتفاؤل العميق .

وبالجملة فلقد جمعت القصة صور من الصراع بين الغريزة والواجب الخلقى والهوى والايمان[٢٣] . واتسمت بأنها تحول الأنظار من السماء الى الأرض فتأخذ الانسان ليعيش الحياة وليشاهد الطبيعة الانسانية بكل مقوماتها واتجاهاتها . سواء فيما يتعلق بالحب أو الكره . البغض والحسد . المكر والخديعة . فهى آية فى الكشف عن عاقبة الصبر والصدق والاخلاص والشكر لله رب العالمين .

* * *

*** الاهداف التربوية فى قصة يوسف عليه السلام :**

لا شك أن الغرض الدينى التربوى . قد احتل مكانا موسعا فى قصة يوسف عليه السلام . واذا كانت القصة فى ذاتها بها مواقف تربوية . ظهرت من خلالها فان اتحاد الغرض الدينى والتربوى قبل القصة . وبعدها يعتبر الملمح الرئيسى فى تلك القصة . والذى جاء كاطار عام وهدف أساسى لأنه يدور حول وحدة الدين ووحدة الألوهية .

وبهذا يمكننا أن نميز نمطين من الأهداف التربوية فى تلك القصة :

(ا) الهدف التربوى العام .

(ب) الأهداف التربوية الخاصة .

وسوف نتحدث عن كل تلك الأهداف بالتفصيل. آخذين فى لاعتبار أن كلا منهما مكمل للآخر . فهما يلتقيان سعيا فى سبيل بناء الفرد المسلم والشخصية الاسلامية الموحدة .

---

(٢٢) محمد المبارك : دراسة ادبية لنصوص القرآن . مرجع سابق ص ص ٨٢ ، ٨٣

(٢٣) المرجع السابق ص ٨٨ ، ٨٩

أولا ــ الهدف التربوى العام : توحيد الله وعبادته والدعوة اليه :

تجىء وحدة الدين ووحدة الألوهية . واتحاد الأنبياء والمرسلين حول الدعوة الى الله . ونصرة دينه . هدفا رئيسيا عاما فى تلك القصة . حيث يمكن استنباط العبرة والعظة من قصص الانبيـــاء والمرسلين . واستخلاص المواقف المتشابهة . لادراك مدى الاعجاز الباهر والاتحاد الملتحم بين الأنبيـــاء والمرسلين مع الاختـــلاف فى الأزمنة والأمكنة ونوعية البشر .

وبهذا يأتى فى النهاية أن تدعيم مسار الدعوة الى الاسلام هدف رئيسى ومطلب ملح . لجميع الأنبياء والمرسلين . مع اختلاف فى المواقف والأحداث مع قومهم .

واذا كان هذا يصدق على جميع الرسل والأنبياء . كما قال تعالى مخاطبا النبى محمد صلى الله عليه وسلم : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب »**(٢٤) .

أقول : اذا كان ذلك . كذلك . فانه ينطبق على يوسف عليه السلام . لأن قصته جاءت متماسكة فى وحدة كاملة مع دين الاسلام . ومع مسار دعوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ولذلك جاءت بداية القصة ــ كما سبق أن ذكرنا ــ خطابا موجها للنبى صلى الله عليه وسلم . كاينأس له فيما يعانيه وما سوف يعانيه من قومه فى سبيل دعوته ؛ وما يقاسيه من أجلها . فتبكر القصة لتؤكد أن القرآن كتاب الله أنزل لهداية الناس وارشادهم . من أجل اصلاح حالهم . وتقويم سلوكهم واستقامتهم على الطريق الصحيح لعلهم يثوبون الى رشدهم . ويعقلون ما آتاهم به النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى القصة لفت للأنظار الى أن الهدف الأسمى من الحياة هو تحقيق العبودية لله رب العالمين فمع تمكين الله ليوسف فى الأرض ؛ وتبوئه خزانة الدولة ؛ ومع تمكين الله تعالى له بالعلم ؛ ومع تمكين الله له من تعبير للرؤيا ؛ لم يرج يوسف بعد هذا كله الا أن يتوفاه الله مسلما وأن يلحقه بالصالحين .

---

٢٤) الشورى : ١٣

وهذا هدف تتفق فيه الديانات كلها . وعلى رأسها خاتمة الديانات . وصدق الله اذ يقول : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القـوة المتين** »(٢٥) .

ويحقق يوسف عليه السلام الهدف الرئيسى للحياة بعد تلك المحن وذلك المواقف من الابتلاء والصبر فى الضراء والشكر فى السراء . ويلتقى مع القرآن الكريم . روحا كما التقى مع الاسلام عملا .

وهكذا يتحقق بقصة يوسف الهدف الأكبر . وهو تمحيص المؤمنين بالاسلام فى بداية السنوات الأولى من الدعوة .

وقد كان الفقراء من المؤمنين بالاسلام فى حاجة الى نموذج عملى تربوى . فكانت قصة يوسف عليه السلام بنصها . وأحوالها وما فيها من مواقف محزنة وأليمة . وما فيها من مكر وخداع وتدبير انتهت بنصر الله ينصر من يشاء . وهو وحده المتكفل بعباده الاوابين الصالحين .

وفى العام الذى نزلت فيه سورة يوسف . اشتد البلاء بالمسلمين وكانوا فى حاجة ماسة الى من يسرى عنهم ؛ فلقد ماتت خديجة أم المؤمنين ومات عم النبى صلى الله عليه وسلم أبو طالب . سنده الوحيد . ومن ذوى المكانة والجاه فى مكة واشتد الكرب بالمسلمين فكانت هذه القصة بمثابة مائدة نزلت من السماء تهون على المسلمين ما هم فيه لذلك فلا غرابة . والموقف هكذا أن يخرج المسلمون من ديارهم فيهاجروا ولا غرابة أن يحيك المشركون المؤامرات لرسول الله ؛ ولا غرابة أن تقع المعارك . وينتصر فيها المسلمون . ويستشهد منهم العديد . لا غرابة فى ذلك ففى قصة يوسف شىء من هذا ولكن النهاية هى الأساس . ففيها الاطمئنان وفيها السلوى . وصدق الله العظيم اذ يقول فى ختام سورة يوسف : « **حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** »(٢٦) .

وهكذا تظهر عواقب الصبر فى تلك القصة . حيث فيها الدعوة الى الاعتبار بمواقفها التربوية . وما آلت اليه القصة من معنى عميق من معانى الحياة ؛ وهو أن الله يخلق من العسر يسرا ومن الضيق فرجا ومخرجا . وأن تصرفات الانسان وأعماله تأتى نتائجها وفقا لقدر الله

---

(٢٥) الذاريات : ٥٦ ــ ٥٨ (٢٦) يوسف : ١١٠

وارادته . والمؤمن الصحيح الايمان هو من لا ييأس ولا يبتئس من روح الله . فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

ومن هنا فعليه أن يتحمل ويصبر . فى ساعات الشدة . ولا ينحدر مع الهوى أو الشهوة . بل يترقب ساعة الانتظار والظفر . ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه فى أشد الحاجة الى هذا المعنى . خصوصا وقد اشتدت بهم الخطوب واحاطت بهم كل أساليب الاضطهاد من خصوم عنيدين أقوياء .

ولذلك جاء الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم : « **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** »[٢٧] « **حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** » . وجاء هذا الخطاب داعيا النبى عليه الصلاة والسلام الا ييأس لقلة المؤمنين المستجيبين لدعوة الاسلام[٢٨] « **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** »[٢٩] .

وحول نفس المعنى يذكر الامام الطبرى فى تفسير تلك الآيات « **ذلك من أنباء الغيب** » يقول تعالى ذكره : هذا الخبر الذى أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب واخوته وسائر ما فى هذه السورة « **من أنباء الغيب** » يقول : من أخبار الغيب الذى لم تشاهده ولم تعاينه . ولكنا « **نوحيه اليك** » ونعرفكه . لنثبت به فؤادك ونشجع به قلبك . وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك فى ذات الله . وتعلم أن من قبلك رسل الله اذ صبروا على ما نالهم فيه ؛ وأخذوا بالعفو . وأمروا بالعرف . وأعرضوا عن الجاهلين ؛ فازوا بالظفر ؛ وأيدوا بالنصر ومكنوا فى البلاد وغلبوا على من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله . يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فبهم يا محمد فتأسى وآثارهم فقص[٣٠] .

وفيما يتعلق بحرص النبى صلى الله عليه وسلم على ايمان قومه « **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** » يقول الله عز وجل : هناك

---

(٢٧) يوسف : ١٠٢

(٢٨) محمد المبارك . دراسات ادبية . مرجع سابق ص ٨٨

(٢٩) يوسف : ١٠٣

(٣٠) ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى . جامع البيان عن تفسير آى القرآن . مرجع سابق ج ١٢ ص ٧٥

كثير من قومك يا محمد لا يؤمنون بك ولا يصدقونك ولا يتبعون ما جئتهم به بالرغم من حرصك على ايمانهم . وبالرغم من انك لم تطلب على دعوتك لهم أجرا من ثواب وجزاء منهم . انما ثوابك وأجر عملك على الله . لأنك لو قلت لهم أو طلبت منهم ذلك فانهم سوف يقولون لك : انما تريد بدعائك ايانا اتباعك فى سبيل اقتطاع جزء من أموالنا . واذا كان الحال والشأن كذلك فكان جديرا بهم وحقا عليهم أن يوقنوا أن دعوتك لهم اتباع منك لأمر ربك[٣١] . ونصيحة منك لهم فى سبيل ما فيه مصلحتهم وقوام حياتهم وانقاذهم مما هم فيه من شرك ومن ضلال .

واستمرارا مع مناقشة الهدف الأسمى من السورة وهو وحدة الدين ووحدة الألوهية . يخبر المولى عز وجل أنه بالرغم من وجود آيات الله فى الكون فى سمائه وأرضه من شمس وقمر ونجوم وكواكب وجبال وأشجار ونبات . وهى ترى بالعين . ويعاينها هؤلاء الذين يدعوهم الرسول للايمان . غير أنهم يعرضون عنها . ولا يتعظون بها ولا يفكرون فيها . « وفيما دلت عليه من توحيد ربها . وأن الألوهية لا تنبغى الا للواحد القهار . الذى خلقها وخلق كل شىء فدبرها »[٣٢] .

« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون »[٣٣] .

وهنا يظهر أن هؤلاء الذين كانت صفتهم الاعراض عن آيات الله فى الكون والدالة على وحدانيته انما يشركون فى عبادتهم مع الله الأوثان والأصنام ويتخذونها أربابا ويزعمون أن لله ولدا . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[٣٤] .

« أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون »[٣٥] .

يقول جل ثناؤه : أفأمن هؤلاء الذين لا يقرون بأن الله ربهم الا وهم مشركون فى عبادتهم اياه غيره . **« أن تأتيهم غاشية من عذاب الله »** تغشاهم من عقوبة الله وعذابه . على شركهم بالله أو تأتيهم القيامة

---

(٣١) المرجع السابق ص ٧٦ (٣٢) المرجع السابق ص ٧٦
(٣٣) يوسف : ١٠٥ ، ١٠٦
(٣٤) أبو جعفر بن جرير الطبرى . مرجع سابق ص ٧٧
(٣٥) يوسف : ١٠٧

فجأة . وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم فيخلدهم الله عز وجل فى ناره . وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها[٣٦] . **« قل هذه سبيلى أدعوا الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين »** .

وبهذه الآية يحسم الأمر . وأن طريق النبى صلى الله عليه وسلم هو الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له من دون الآلهة والأوثان . وهذه الدعوة هى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنها أيضا طريق لمن آمن بالله سبحانه . يقول تعالى ذكره : وقل تنزيها لله وتعظيما له . من أن يكون له شريك فى ملكه . أو معبود سواه فى سلطانه . **« وما أنا من المشركين »** يقول : وأنا برىء من أهل الشرك به . لست منهم ولا هم منى[٣٧] .

« وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى ، أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون »[٣٨] .

أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ويجحدون نبوتك وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله . واخلاص الطاعة والعبادة له فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اذ كذبوا رسلنا ألم نحل بهم عقوبتنا فنهلكهم وننج منها رسلنا وأتباعنا ، فيتفكروا فى ذلك ويعتبروا[٣٩] .

ومجمل القول أن الآيات العشر الأخيرة من سورة يوسف يخاطب المولى عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : **« قل هذه سبيلى أدعوا الى الله ... »** قل يا محمد هذه دعوتى وتلك طريقتى وهى اخلاص العبادة لله دون الآلهة والأوثان . وتأتى الآية الأخيرة من السورة لتكمل العقد الذى بدأته والهدف الذى رسمته من العبرة والعظة والتوحيد . **« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »**[٤٠] .

---

(٣٦) ابو جعفر بن جرير الطبرى . مرجع سابق ص ٧٩

(٣٧) المرجع السابق ج ١٣ ص ٨٠ — والآية من سورة يوسف : ١٠٨

(٣٨) يوسف : ١٠٩ (٣٩) المرجع السابق ج ١٣ ص ٨١

(٤٠) يوسف : ١١١

بهذا العرض يتضح أن الهدف التربوى العام فى تلك القصة هو الدعوة الى الله الواحد وافراده سبحانه بالعبادة • والعبادة مفهوم يتسع لما هو أعم من داء الشعائر ليشمل أعمال الانسان كلها . طالما يبتغى بها وجه الله تعالى •

وهذا فى حد ذاته يعد تنفيذا للوظيفة الرئيسية التى من أجلها خلق الانسان • قال تعالى : « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ...** »[٤١] والخلافه عمل ونشاط وعمارة للأرض وتعرف على طاقاتها وقواها ومكنوناتها وتنميتها وترقية الحياة بها » •

وعلى أن هذا يتم وفقا لشريعة الله وتحقيقا للمنهج الالهى الذى يتناسق مع الناموس الكونى للعالم[٤٢] •

ومن هدا المنطلق كانت تلك الأنشطة كلها عبادة . العبادة بمفهومها الواسع وفق لحدود النشاط المطلوب من الانسان والذى يتفق مع قوله تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** »[٤٣] •

وهذا بلا شك يتناسق مع أعلى درجات التربية الخلقية وهى احدى الأهداف التى تسعى التربية — أى تربية — لتحقيقها •

والتربية الخلقية حين تستند على الدين فلا شك أنها تحقق هدفها الأسمى فى صفاء الضمير وتحقيق العدل والخير والجمال للانسان •

* * *

ثانيا — الأهداف التربوية الخاصة :

معلوم أن الغاية من خلق الانسان الابتلاء . وأن المطلوب من هذا الابتلاء هو عبادة الله رب العالمين وطاعته •

ومن هنا تدور أو يجب أن تدور الأهداف العامة للمجتمع — أى مجتمع مسلم — فيما يتعلق بالأنظمة والسياسات والفلسفات (الأيديولوجيات) سواء ما كان منها فى الشرق أم فى الغرب . طالما أن هناك تسليما بأن الاسلام هو الدين الخالص « **الا لله الدين الخالص** »[٤٤] •

---

(٤١) البقرة : ٣٠

(٤٢) سيد قطب . فى ظلال القرآن ، ج ٢٧ مرجع سابق ص ٣٣٨٧

(٤٣) الذاريات : ٥٦ (٤٤) الزمر : ٣

كما أن الأهداف الخاصة حول سياسات التعليم ونظمه وادارته ومتعلقاتها وما يدور فى فلكها من برامج ولوائح وقوانين .. الخ . كل هذه يجب أن يكون محورها الاساسى . تحقيق العبودية لله . وأن يكون هدفها النهائى اخلاص العبادة لله رب العالمين .

فى هذا الاطار ومن هذا المنطلق نلمح أن يوسف عليه السلام أمام صنوف المحن وأنواع الابتلاء المختلفة . قد صبر . وزاول دعوته الى الاسلام وهو فى أحلك صنوف الابتلاء أثناء سجنه « وخرج منها كلها متجردا خالصا . وآخر توجهاته . وآخر اهتماماته . فى لحظة الانتصار على المحن جميعا . وفى لحظة لقاء أبويه ولم شمله . وفى لحظة تاويل رؤياه وتحقيقها كما رآها .. « **اذ قال يوسف لابيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** » آخر توجهاته وآخر اهتماماته فى هذه اللحظة هى التوجه المخلص المتجرد المنيب الى ربه . منخلعا من هذا كله بكليته كما يصوره القرآن الكريم : « **فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ...** » ـ « **... رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت ولىى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** »[٤٥] « وهكذا كانت طلبته الأخيرة .. بعد ذلك كله وهو فى غمرة السلطان والرخاء ، ولمة الشمل .. أن يتوفاه ربه مسلما . وأن يلحقه بالصالحين .. وذلك بعد الابتلاء والمحنة . والصبر الطويل والانتصار الكبير »[٤٦] .

واذا كان منهج الاسلام يحتم استثمار مواقف الانسان المسلم . أعنى جميع الخبرات والمواقف العملية فى حياته كلها . بحيث تصبح خالصة لوجه الله رب العالمين فان يوسف عليه السلام كان النموذج الأعظم لتلك المنهجية الاسلامية الخالصة . ذلك أن ما ابتلى به يوسف عليه السلام متنوع ومتعدد سواء فى طبيعته أو اتجاهاته ابتلاء بالشدة وابتلاء بالرخاء . وابتلاء بفتنة الشهوة وفتنة السلطان . ابتلاء بانفعالات المشاعر أمام مختلف المواقف ومختلف الشخصيات . والنتيجة الباهرة أمام تلك الاختبارات . هى الاتجاه الى الله سبحانه وتعالى اتجاه العبد المنيب الذى يرجو رحمة الله ويخشى عذابه[٤٧] .

---

(٤٥) يوسف : ٩٩ ـ ١٠١

(٤٦) سيد قطب . فى ظلال القرآن ج ١٢ . مرجع سابق ص ١٩٥٠

(٤٧) المرجع السابق ص ١٩٥٢

بهذه الأساليب نستطيع أن نضع عناصر الأهداف التربوية الخاصة لقصة يوسف عليه السلام . واضعين فى الاعتبار أننا فى هذا المبحث سنستشهد بآيات من القصة تدعم القيمة التربوية التى نحن بصددها .

ومن هنا — ولضيق المقام — فلن نتعرض بالتفصيل لكل آيات السورة سوى أننا نضع بين يدى القارىء الأهداف التربوية مقرونة بالآيات الدالة عليها . شارحين للبعض منها لتأييد القيم التربوية موضع البحث .

وبهذا نتجنب الاطالة نظرا لما تتطلبه طبيعة هذا البحث وأيضا نتيح لمن يريد المزيد من التعرف على التفصيلات أن يرجع اليها فى كتب التفسير . وفقا لما سنلمح اليه من الآيات الدالة على كل موقف تربوى .

وتقع قصة يوسف وحدها فى ثمان وتسعين آية . بالاضافة الى الثلاث الآيات الأولى . والعشر الآيات الأخيرة من السورة هذا ولقد تضمنت السورة مشاهد ومواقف كثيرة نذكرها فيما يلى توطئة لذكر أهم الأهداف التربوية الخاصة .

* * *

*** مشاهد القصة :**

١ — رؤيا يوسف وتقع فى الآيات (٤ — ٧) وتتضمن تلك الآيات نمطا فى الطبيعة الانسانية ممثلا فى حرص يعقوب عليه السلام على يوسف ونصحه بعدم حكاية رؤياه لاخوته كما تتضمن الآيات التفاؤل لمستقبل مشرق ينتظر يوسف عليه السلام .

٢ — مؤامرة وضع يوسف فى الجب . وتنفيذها . وبيعه بيع العبيد . ويقع هذا المشهد فى الآيات (٨ — ٢٠) وتتضمن الآيات الايمان بالله والثقة به ممثلا فى اسناد الأمر لله رب العالمين فى كشف تلك المؤامرة **« قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون »**[٤٨] .

٣ — يوسف فى مصر وفى بيت العزيز . ومؤامرة تدبر لها زوجة العزيز ومشهد نسائى من نساء القصر . ثم تمكين ليوسف . وعلم وحكمة يؤيد الله سبحانه وتعالى بها يوسف لأنه هو الذى قد رباه وأحسن

---

(٤٨) يوسف : ١٨

مثواه وتقع تلك المشاهد فى الآيات (٢١ ــ ٣٤) وتتضمن الصدق مع الله والاخلاص فى درء نزغات الشيطان .

٤ ــ يوسف فى السجن يدعو الى الله على بصيرة . فيكون محل ثقه ويصبح من المحسنين . يلجأ اليه الملك ليفسر له ما رآه فى منامه . ويصبح الايمان بالله دعوة ابراهيم واسحاق ويعقوب منهجا ليوسف وتقع تلك المشاهد فى الآيات (٣٥ ــ ٥٣) وتتضمن يقظة الضمير حين اعترفت زوجة العزيز ببراءة يوسف مما سبق أن نسب اليه : **« قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين »**[٤٩] .

٥ ــ يوسف الذى مكن له فتولى خزائن الدولة فيصير برحمة الله من المحسنين الصادقين المخلصين **« ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون »**[٥٠] . ونرى هذا فى الآيات (٥٤ ــ ٥٧) .

٦ ــ يوسف مع اخوته . وذهابهم من أجل الحصول على الأطعمة . بعد أن حاط القحط بالعباد والبلاد . ويوسف لا يكشف عن شخصيته ويحيط ذلك بسرية كاملة . وما كان من ابقاء يوسف لأخيه ثم ما كان من تفاؤل يعقوب عليه السلام وطلبه من بنيه ألا ييأسوا ولا يركنوا للتكاسل فى طلب يوسف وأخيه ونلمح تلك المشاهد فى الآيات (٥٨ ــ ٨٨) .

٧ ــ أما الآيات (٨٩ ــ ١٠١) فقد جاءت خاتمة المطاف واشتملت على التقاء يوسف وأخيه بأبويه واخوته . والصفح عنهم وطلب المغفرة لهم . وجاء دعاء يوسف بعد أن أتم الله عليه نعمة التقائه بأبويه وأخوته خاتمة فى منتهى الصدق والاخلاص للدعوة الى الله : **« رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين »**[٥١] .

ومن خلال هذه المشاهد سوف نتخير بعض القيم التربوية من خلال مواقف فى قصة يوسف عليه السلام على الشكل الآتى :

أولا : الاسلام دين الفطرة .

ثانيا : الايمان بالله والثقة به .

ثالثا : يقظة الضمير .

---

(٤٩) يوسف : ٥١ (٥٠) يوسف : ٥٧

(٥١) يوسف : ١٠١

رابعا : الدعوة الى الخير .
خامسا : التفاؤل المقرون بالعمل .
سادسا : الصدق والاخلاص .

وسنتحدث عن كل من تلك القيم مدعمين ذلك ببعض التفاسير الصحيحة فى هذا المقام :

أولا ــ الاسلام دين الفطرة :

ليس غريبا على النهج القرآنى فى أسلوب القصة ذلك التدعيم المتكامل والاعتراف الصريح بمنطق الفطرة السليمة . متمثلا فى شخصيات هذه القصة مع تعدد أفرادها . واختلافهم بين كبير مسن يعقوب عليه السلام . النبى المطمئن الموصول . وبين ملك عزيز مهيب له من الجلال والسلطان ــ والسلطان لله رب العالمين ــ بالاضافة الى أخوة يوسف الذين احتشدت قلوبهم غيرة وحسدا وحقدا ومؤامرة ومناورة وقد ضعفت نفوسهم أمام مواجهة آثار الجريمة . بيد أن أحدهم قد اتسم بشخصية موحدة السمات فى كل مراحل القصة .

ففى البداية يقول لاخوته بعد أن اعتزموا قتل يوسف : **« قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين »**[٥٢] ، وقوله لهم حين انصرفوا من موقفهم أمام يوسف بعد رفضه الكيل لهم واحتجازه لأخيه يقول لهم : **« فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى ، وهو خير الحاكمين »**[٥٣] .

وهذه امرأة العزيز ، بما اتسمت به من جنوح الغريزة الأنثوية المتأثرة بالبيئة المصرية الجاهلية فى بلاط الملوك الى جانب طابعها الشخصى الخاص لواضح فى تصرفها ووضوح انطباعات البيئة ، وموقف النسوة المتجلى فى حديثهن عن امرأة العزيز وفتاها واغرائهن ليوسف وتهديد امرأة العزيز له فى مواجهتين جميعا ونحو ذلك مما يجرى وراء أستار القصور ودسائسها ومناوراتها .

بين هذه الشخصيات المتفاوتة فى تفكيرها وأهدافها ، والمتباينة فى طبيعتها ونوعيتها ، يتجلى القصص القرآنى ومنه قصة يوسف فى أسلوب متناسق ومتناغم . لا خلل فيه ولا اعوجاج . فيأتى معترفا بالصفة البشرية للكائن الحى فلا لبس ولا غموض فى أى من تلك المواقف ،

---

(٥٢) يوسف : ١٠ (٥٣) يوسف : ٨٠

ولا تحيز لأحد على حساب الآخر . لأن هذا هو منهج الاسلام الكامل فى الأداء التربوى من خلال القصص القرآنى . هذا الأداء الذى لا يهمل خلجة بشرية واقعية واحدة . وفى الوقت ذاته لا ينشىء مستنقعا من الوحل يسميه « الواقعية » كالمستنقع الذى أنشأته « الواقعية » الغربية الجاهلية(٥٤) !

وهذا المنهج قد استكمل التصوير النفسى للبشر بواقعية كاملة . دون أن يغفل اية لمحة حقيقية من لمحات النفس الانسانية . ولعلنا بهذا نلمح الترفع فى هذا الأداء التربوى عن مستوى الاسفاف المقزز للفطـرة السليمة . أو ما يطلق عليه فى هـذا العصر « الواقعية » أو « الطبيعية »(٥٥) .

وبهذا العرض يمكن القول أن الأداء التربوى فى قصة يوسف عليه السلام قد استخدم النمط الكامل المتكامل فى البناء التربوى لأن الاعتراف بالطبيعة الانسانية واضح فيها . وزيادة على ذلك فالاسلام مع اعترافه بالطبيعة الانسانية الا أنه يوجهها ويعدل من سلوكها . بما يحقق للانسان الخير فى نفسه وفى مجتمعه وبما يحقق له الخير فى دينه ودنياه .

ثانيا ــ الايمان بالله والثقة به :

ان المواقف التى تبنتها قصة يوسف توحى الى موجبات الدعوة الى الله وما يستلزمه ذلك من صبر ورباطة جأش . ولقد صاحب هذا المغزى التربوى مواقف كثيرة فى القصة نذكر منها ما يلى :

(ا) يوسف ملقى فى الجب . وفى أزمته هذه الشديدة . وابتلائه بعد الكيـد له والمكر به ، ومع ذلك فهو المؤمن بربه الواثق بنصره . قال تعالى : « **وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون** »(٥٦) على خلاف بين المفسرين حول زمن الايحاء . يقول الامام الطبرى حول هذا : وأوحينا الى يوسف لتخبرن اخوته بأمرهم هذا . يقول : بفعلهم هذا الذى فعلوه بك « **وهم لا يشـعرون** » يقول : وهم لا يعلمون ولا يدرون . ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله عز وجل بقـوله : « **وهم لا يشعرون** » فقال بعضهم : عنى بذلك أن الله أوحى الى يوسف أن يوسف : سينبىء اخوته بفعلهم به ما فعلوه من القائه

---

(٥٤) فى ظلال القرآن . مرجع سابق ص ١٩٥٢

(٥٥) المرجع السابق .

(٥٦) يوسف : ١٥

فى الجب وسائر ما صنعوا به من ضنيعهم : واخوته لا يشعرون بوحى الله اليه بذلك[٥٧] .

(ب) يوسف فى السجن . بين ظلماته ومكابدة المتاعب والمصاعب بداخله . وقد طال به السجن بعد أن نسى أحد الفتيين الناجى من السجن أن يذكر يوسف عند الملك . وقد كان طريح السجن مثل يوسف ونجا منه ثم عاد الى القصر وكان ما كان من أمر رؤيا الملك وذهاب الفتى الناجى ليوسف فى السجن واستطاعة يوسف تفسير رؤيا الملك الذى أمر باحضار يوسف لديه فيما بعد . وسجين هذا حاله . ينتظر منه . ن يستجيب لفوره للخروج من السجن والذهاب الى الملك والتخلص من تلك القيود . والعيش فى كنف القصور .

ومع ذلك فان ايمانا بالله وثقة به . يحركان يوسف عليه السلام . ويحثانه على التريث والتانى . وعدم الاستجابة الفورية فى سرعة تلبية مر الملك . حتى تتجلى الظلمة وتنقشع سحب التهمة الموجهة اليه من غير دليل والتى راح بسببها فى غيابات السجن لسنوات . وينطق يوسف عليه السلام منطق الحق قائلا لرسول الملك : « **فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ، ان ربى بكيدهن عليم** »[٥٨] . يقول الامام الطبرى فى تفسير هذه الآية : يقول تعالى ذكره فما رجع الرسول الذى أرسلوه الى يوسف . الذى قال : « **أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون** »[٥٩] فأخبره بتأويل رؤيا الملك عن يوسف . علم الملك حقيقة ما أفتاه به من تأويل رؤياه وصحة ذلك . وقال الملك : ائتونى بالذى عبر برؤياى هذه[٦٠] .

وقوله : « **ان ربى بكيدهن عليم** » يقول : ان الله تعالى ذكره ذو علم بصنعهن وأفعالهن التى فعلن بى ويفعلن بغيرى من الناس لا يخفى ذلك كله . وهو من وراء جزائهن على ذلك[٦١] . راجع فى هذا الآيات (٣٥ ــ ٥٣) .

(جـ) موقف يوسف من اخوته . بعد أن تبوأ مكانته كوزير يسوس الأمور فيما يتعلق بأقوات الناس . ويدبر ذلك فى قدرة تامة وفى حصافة

---

(٥٧) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . جامع البيان عن تأويل آى القرآن . مرجع سابق . جـ ١٢ ص ١٦١

(٥٨) يوسف : ٥٠ (٥٩) يوسف : ٤٥

(٦٠) المرجع السابق ص ٢٣٤ (٦١) المرجع السابق ص ٢٣٦

وحنكة أقدرته أن ينقذ البلاد . وبعض ما جاورها من فرط ما ألم بها من السبع السنين العجاف . ومن تلك التهلكة التى كادت أن توقع الناس الحرج الشديد من ضيق العيش وخوف التهلكة • ويوسف فى تلك المكانة وقد ضم اليه أخاه . يقول له اخوته بعد أن اكتشفوا أمره من كلامه : « **أئنك لأنت يوسف** »[٦٢] قال : « **أنا يوسف وهذا أخى ، قد من الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين** »[٦٣] •

ويذكر الشهيد سيد قطب فى معنى هذه الآية : قالوا : « **أئنك لأنت يوسف** » ؟ « أئنك لأنت ؟! فالآن تدرك قلوبهم وجوارحهم وآذانهم ظلال يوسف الصغير فى ذلك الرجل الكبير « **قال أنا يوسف وهذا أخى ، قد من الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين** »[٦٣] مفاجأة ! مفاجأة عجيبة •• يعلنها لهم يوسف ويذكرهم فى اجمال بما فعلوه بيوسف وأخيه فى دفعة الجهالة •• ولا يزيد •• سوى أن يذكر منة الله عليه وعلى أخيه ؛ معللا هذه المنة بالتقوى ؛ والصبر وعدل الله فى الجزاء • أما هم فتتمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف ويجللهم الخزى والخجل وهم يواجهونه محسنا « **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** »[٦٤] • ولكن التقوى والصبر والثقة فى الله حتمت على يوسف أن يقول لاخوته وهو فى مركز القوة ولكنها قوة الايمان وفى موقف المنتصر ولكنه العزيز بالله يقول لاخوته : « **لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين** »[٦٤] • راجع فى هذا الآيات (٥٨ — ٩٢) •

وليس بعد ذلك من حديث لمتحدث عن السماحة والعفو وكرم الخلق وبذر السلوك الصحيح لدى الانسان فى نمط عملى نموذجى تجريبى ؛ ينطق الانسان ويجعله يشيد بالفضل ويفاخر بالفضيلة مما حدا باخوة يوسف أن يقولوا له بعد أن تكشف لهم هذا الدرس التربوى « **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** »[٦٥] • وفى هذا اعتراف سببه الثقة والايمان بالله الذى نفذه يوسف عليه السلام فى اخلاص وصدق ويقين •

---

(٦٢) يوسف : ٩٠
(٦٣) فى ظلال القرآن ؛ مرجع سابق جـ ١٣ ص ٢٠٢٧
(٦٤) يوسف : ٩٢ (٦٥) يوسف : ٩١

ثالثا ــ يقظة الضمير :

بعد أن آلقت المقادير بيوسف عليه السلام فى السجن . وتعرف على اثنين من السجناء الفتيان ، وبعد أن قصا عليه ما رآياه فى منامهما ، ثم ما كان من يوسف عليه السلام من تفسير لمـــا رأياه ، مما زاد من تعلقهما به وثقتهما فيه .

فلما استأنس يوسف فيهما اليقظة واستشعر منهما الهمة ، التى مهد هو لها استطاع يوسف عليه السلام أن ينفذ الى قلبيهما . ليستقبلا ما يقوله يوسف عليه السلام من آمر التوحيد والدعوة الى الله ، واستنفر يوسف من نفسه الهمة والعزم وصيحة الضمير وقام يدعو الى الله وهو فى السجن .

قال تعـــالى : « **واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله ، أمر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** »(٦٦) .

وهذه الآيات تكشف أن التوحيد الخالص لله ، آمر مقرر فى جميع رسالات الرسل ولكن النـــاس هم الذين لا يعرفون هـــذا الفضـــل ولا يشكرونه . وبهذا المدخل اللطيف يخطو يوسف عليه السلام خطوة خطوة فى حذر ولين . ليستحوذ على قلبى الرجلين وليوقظ الضمـــير فيهما . فيكشف لهما عن فساد اعتقادهما . وفساد ذلك الواقع النكد الذى يعيشون فيه . بعد ذلك التمهيد التربوى الطويل .. « **آأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** » .. ثم يتخذ يوسف عليه الســـلام منهما صاحبين وينحبب اليهما بهذه الصفة المؤنسة ، ليدخل من هذا المدخل الى صلب الدعوة وجسم العقيدة ، وهو لا يدعوهما اليها دعوة مباشرة ، انما يعرضها قضية موضوعية(٦٧) .

ثم يكشف يوسف عليه السلام النقاب عن الفطرة البشرية . التى لا تعرف سوى اله واحد ففيم اذن تعدد الأرباب ؟ لا شك أن الذى ينبغى أن يطاع شرعه وينفذ سلطانه هو الله الواحد القهار ، وهو فى

---

(٦٦) يوسف : ٣٨ ــ ٤٠

(٦٧) سيد قطب . فى ظلال القرآن . ج ١٢ ص ١٩٨٩

غنى عن العالمين « فهو سبحانه لا يريد منهم الا التقوى والصلاح والعمل وفق منهجه ــ فيعد لهم هذا كله عبادة . وحتى الشعائر التى يفرضها عليهم انما يريد بها اصلاح قلوبهم ومشاعرهم . لاصلاح حياتهم وواقعهم .. ففرق بين الدينونة لله الواحد القهار والدينونة للأرباب المتفرقة بعيد[٦٨] .

« ان الحكم الا لله ... » فالحكم مقصور عليه وحده . والحاكمية من خصائص الألوهية « من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته »[٦٩] .

وهكذا يرسم التعبير الفنى فى تلك الآيات خفقات المشاعر وانتفاضات الوجدان رسما رشيقا رفيقا شفيفا[٧٠] .

وبهذا العرض يظهر لنا طريقة القرآن الكريم فى نقد الفساد الذى يستشرى فى المجتمع ويسلك القرآن وجهات فنية تعتمد على القصص وضرب الأمثال . كما يستخدم المناقشة والحوار وعرض نماذج بشرية فى معرض النقد وينتقى القرآن فى القصة أبرز حوادثها وأشدها صلة بالعبرة المقصودة مغفلا التفاصيل الزائدة ومركزا على تلقين الأفكار التى لا تفصل الواقع الانسانى بل ترتفع به الى المثل الأعلى[٧١] . وهذا ما نلحظه واضحا فيما تعرضنا له من موقف يوسف من الفتية فى السجن ودعوتهم الى الله وافراده سبحانه بالعبادة . ودعوة قومهم الذين هم على دينهم من خلال دعوتهم . مستخدما فى ذلك منطق التحلية بعد التخلية فهو يجاهد فى سبيل تخليهم عن الاشراك بالله ؛ ثم يفسح المجال لاقناعهم بعبادة الله وايقاظ ضميرهم .

رابعا ــ الدعوة الى الخير :

ويتمثل ذلك فى شخصية يعقوب عليه السلام الأب الرحيم ؛ الشفيق الحذر . الصابر المتفائل بالنصر ؛ والفرج ؛ ويوسف عليه السلام المظلوم الذى ابتلى فصبر على بلائه وانتظر رحمة ربه : شاكرا نعمته ؛ يغلب ايمانه على هواه وعلى شهوته ؛ محسن لا يضمر الا الخير ؛ وأبناء يعقوب الحاسدون المتآمرون[٧٢] .

---

(٦٨) المرجع السابق ص ١٩٨٩ ؛ ١٩٩٠.
(٦٩) المرجع السابق . (٧٠) المرجع السابق ص ١٩٩٦
(٧١) محمد المبارك . دراسة أدبية ص ١٠١
(٧٢) محمد المبارك . دراسة أدبية . مرجع سابق ص ٨٧

هذه الشخصيات تجمعها مواقف ، يتضح فيها الدعوة الى الخير . والصفح والعفو والمسامحة عنوانا لتلك الشخصيات المثالية التى هى الأمثلة الحية النابضة بالحب والخير . فيوسف يقول لاخوته وهو فى أوج الانتصار والرفعة : « ... **لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين** »(٧٣) . ويعقوب عليه السلام يقول لبنيه بعد أن استرحموه طالبين منه المغفرة والعفو . انه سوف يستغفر لهم . « **قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين . قال سوف أستغفر لكم ربى ، انه هو الغفور الرحيم** »(٧٤) .

وكانى بيعقوب عليه السلام وقد عايش هذه المحن العصيبة . يرى بنفسه ويدرك بحسه نتيجة ما سبق أن رآه ببصيرته واستشعره بقلبه . أن وراء هذه الرؤيا شأن عظيما لهذا الغلام . لم يفصح هو عنه ولم يفصح عنه سياق القصة كذلك . ولا تظهر بوادره بين حلقتين منها . ما تمامه فلا يظهر الا فى نهاية القصة بعد انكشاف الغيب المحجوب . ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه على اخوته . خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير — غير الشقيق — فيجد الشيطان من هذا ثغرة فى نفوسهم فتمتلىء نفوسهم بالحقد ، فيدبروا له أمرا يسوؤه(٧٥) . ومن هنا فان يعقوب عليه السلام كان يتنبأ بالخير ليوسف وكان يعالج نزعات الشيطان بين بنيه بأسلوب النبى الموصول الراغب فى وضع الثواب لمستحقيه فى الوقت المناسب والزمان حتى ينتزع الشر من القلوب ويبذر مكانه الخير والحب والوفاء .

خامسا — التفاؤل المقرون بالعمل :

لقد برز التفاؤل فى هذه القصة فى عدد من المواقف :

— حين أجاب يعقوب بنيه الذين كذبوا عليه فى شأن يوسف وأخفوا عليه أمر وضعه فى الجب ، قال لهم : « **بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون** »(٧٦) .

— حين طلب اخوة يوسف من يعقوب عليه السلام أن يصطحبوا

---

(٧٣) يوسف : ٩٢ (٧٤) يوسف : ٩٧ ، ٩٨

(٧٥) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ص ١٩٧١

(٧٦) يوسف : ١٨

معهم أخا لهم من أبيهم (هو شقيق ليوسف واسمه بنيامين) كطلب يوسف منهم حتى يمكنهم من الكيل والحصول على الصفقة التى خرجوا من أجلها ليرفعوا عن قومهم غائلة الجوع والفاقة فى سنوات القحط . قال لهم أبوهم فى ايمان النبى الموصول المتفائل بنصر الله المعتصم المتين قال : **« لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم ، فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل »**(٧٧) .

— أما فى الآيات (٨٣ — ٨٧) ففيها التفاؤل المصحوب بالعمل والاجتهاد فى سبيل الهدف وذلك بعد أن شق على بنيه أن يخلصوا أخاهم بنيامين من يوسف عليه السلام الذى ضمه اليه فى سبيل أن تتم فصول القصة ويلتئم ما حدث فيها من جراح . أخبر اخوة يوسف اباهم ما كان من شأن أخيهم واتهامه بالسرقة قال لهم : **« بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ، انه هو العليم الحكيم ... »**(٧٨) الى أن قال لهم : **« يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »**(٧٩) .

« أما فلسفة القصة العميقة فتتجلى فى الايمان العميق بالله الذى ينصر الحق على الباطل ولو طال أمده . والثقة بهذا الانتصار . ومواجهة أزمات الحياة بصبر وثبات وايمان . والتفاؤل حتى فى الشدة وترقب الفرج من الله فى الأزمات . والايمان أن نية الخير والعزم عليه لا يولد فى النهاية الا خيرا فلا يأس ولا قنوط فى الحياة والايمان صبر وجهاد وثقة وتفاؤل »(٨٠) .

سادسا — الاخلاص والصدق :

أما سمة الاخلاص والصدق فلقد احتلت مساحات فى القصة نذكر منها دعوة يوسف الى بلاط الملك . بعد أن قام يوسف عليه السلام بتأويل رؤيا رآها الملك . وقد أحله الملك مقاما عليا . ومكنه على خزائن الدولة . وكان المخلص الصادق الذى استطاع أن ينقذ البلاد فى سنين القحط والمجاعة .

---

(٧٧) يوسف : ٦٦ (٧٨) يوسف : ٨٣

(٧٩) يوسف : ٨٧

(٨٠) محمد المبارك . دراسة أدبية . مرجع سابق ص ٨٥ . ٨٦

وكانت عاقبة الاحسان رحمة وعاقبة الصدق مكانة فى الدنيا والآخرة • والآيات (٥٤ ــ ٥٧) يتضح فيها هذا الهدف فى جلاء كامل :

« وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين • قال اجعلنى على خزائن الارض ، انى حفيظ عليم • وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين • ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون »(٨١) •

يقول الامام الطبرى فى تفسير قوله تعالى : **« ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون »** . يقول تعالى ذكره : « ولثواب الله فى الآخرة خير للذين آمنوا يقول : للذين صدقوا به ورسوله مما أعطى يوسف فى الدنيا من تمكينه له فى أرض مصر « **وكانوا يتقون »** يقول : وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه فى خلاف أمره واستحلال محارمه فيطيعونه فى أمره ونهيه »(٨٢) •

ويقول سيد قطب فى تفسير تلك الآية : **« ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون »** • فلا ينقص منه المتاع فى الدنيا وان كان خيرا من متاع الدنيا . متى آمن الانسان واتقى . فاطمأن بايمانه الى ربه وراقبه بتقواه وسره وجهره • وهكذا عوض الله يوسف عن المحنة . تلك المكانة فى الأرض وهذه البشرى فى الآخرة جزاء وفاقا على الايمان والصبر والاحسان »(٨٣) •

* * *

* نتائج البحث :

أولا : ضرورة النظر فى القرآن الكريم . واستخراج ما به من فكر تربوى . يكون للمتعلمين ثروة دينية . علمية . وتربوية • مما يدعم تحقيق الهدف الأكبر من الخلق وهو العبادة ــ بمفهومها الواسع ــ لله رب العالمين • العبادة التى تشمل جميع أنشطة الحياة فى غير معصية

---

(٨١) يوسف : ٥٤ ــ ٥٧

(٨٢) ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى • جامع البيان عن تأويل آى القرآن • مرجع سابق جـ ١٣ ص ٧

(٨٣ فى ظلال القرآن • مرجع سابق جـ ١٣ ص ٢٠١٤

الله تعالى . أداء للواجبات التى تأتى نتيجتها وفقا لاتقانها « **انا لا نضيع أجر من أحسن عملا** »[٨٤] .

ثانيا : لا ولن يتأتى للانسانية عقيدة ، سواء أكانت قديمة أم حديثة أجدر للانسان وأوفق من عقيدة القرآن « وأوفق ما فيها أنها غنية عن الاختراع والامتحان . وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية حية . شملت ملايين الخلق وثبتت معهم وحدها فى كل معترك زبون يوم خذلته كل قوة يعتصم بها الناس ... وأن القرن العشرين ينتهى بما استحدث من مبادىء ومذاهب و « أيديولوجيات » ولا ينتهى بما تعلمه أهل القرآن من القرآن »[٨٥] .

ثالثا : غرس الدين بنمط ميسور للأطفال فى المدارس . عن طريق القصة المبسطة . مما يسهل تقبل الأطفال للقيم التربوية والمبادىء الانسانية « والدين يفقد صفة الحياة متى قصر أهله فى التبشير به والدعوة اليه . ويفقد أيضا هذه القصة اذا لم يهتم بالتربية . فليس أخصب من نفوس الصغار مجالا لنشر الدعوة الدينية واعتناقها »[٨٦] .

رابعا : الحاجة ماسة الى استثمار القصة القرآنية فى بناء الأخلاق . خصوصا وقد استشرت فى الآونة الأخيرة قصص رخيصة (غرامية — بوليسية — اجتماعية أو ثقافية) ولكنها فى مجموعها يشيع فيها التضليل والتشويش على عقول الأطفال والشباب . مما يهون عليهم أساليب الحقد والجريمة ويهون عليهم ارتكاب كل محرم فى سبيل تحقيق الهدف . وحين نريد بناء الأخلاق والفضائل السلوكية عند الأطفال بحيث تصبح عندهم عادة يمارسونها فى شبابهم وفى حياتهم المستقبلية فعلينا أن نركز على القصص الدينى خصوصا فى المراحل المبكرة من حياة الأطفال « ومما لا شك فيه ولا جدال معه أن الفضائل الخلقية والسلوكية

---

(٨٤) الكهف : ٣٠

(٨٥) عباس محمود العقاد . الانسان فى القرآن الكريم . دار الهلال . بدون تاريخ ص ٨

(٨٦) جيمس س. دوس . الأسس العامة لنظريات التربية . ترجمة صالح عبد العزيز وآخرين . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، بدون تاريخ . ص ٧

والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الايمـــان الراسخ . والتنشئة الدينية الصحيحة »[٨٧] .

خامسا : تضمنت قصة يوسف مجموعة من المبادىء الانسانية . والقيم الاخلاقية تمثلت فى « أنواع العواطف الخيرة والشريرة . الواقعية والمثالية . من الحسد والمكر . والتآمر والاجرام . والعطف الأبوى والحذر والحزن والحنين و لشوق . والغريزة الجنسية والترفع المثالى والاباء .. تتنوع المشاهد والبيئات من البداوة الى الحضارة ومن السجن الى قصر الملك . وأعظم من ذلك كله ما فيها من فلسفة القدرة والايمان العميق بنصر الله للحق ولو طال أمد الباطل »[٨٨] .

سادسا : فى استثمارنا للقصة القرآنية . تحقيق للشخصية الانسانية المثالية . والتى حال دون تحقيقها قصور فى فهم القصة القـــرآنية . والاكتفاء بالمرور عليها مرور الكرام . دون اتقان لفكرة تربوية من ذلك التراث المملوء والزاخر بالكثير . فنحن لم ننعم النظر بعد فى قرآننا وخصوصا الجانب القصصى الذى قد يؤتى ثمرة طيبة لدى الشباب والأطفال مما جعل الفجوة سحيقة بين ما يعيشه أطفالنا واقعا ملموسا من معايشة كاملة أو شبه كاملة لثقافة مختلطة عبر أجهزة الاعلام ومنها (التلفزيون . والسينما ... الخ) وبين فكر تربوى قرآنى تركناه وراء ظهورنا دون صيحة من الآباء أو المعلمين أو أولى الفكر وذوى العلم وأهل الرأى اللهم فيما عدا النزر اليسير الذى لم يف بسد هذا الصدع وعلاج هذا الداء .

سابعا : فى استثمارنا لقصة يوسف نلمح بناء للشخصية المعتدلة . التى لا تتسم بالغطرسة أو الغرور بالنفس أو العجب أو الكبرياء . وما أحوجنا فى الآونة الأخيرة التى ترسم هذا المنهج والسير على خطاه . والله أسأل أن يمنحنا توفيقه وهداه . وأن يهبنا فضل التربية على مائدة القرآن الكريم .

* * *

---

(٨٧) عبد الله ناصح علوان . تربية الأولاد فى الاسلام . دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع . حلب . ط ٣ ج ١ ص ١٦٧

٨٨ محمد المبارك . دراسة ادبية . مرجع سابق ص ١٠٦